أحلام لا تنضب

صدر القرار، وباتت المدرسة في اضطراب، حتى عمت الفوضى أرجاء المكان، فالكل يريد أن يطلع على بنود القرار الجديد، أما انا فلا أنكر أن الفضول قد شدني نحوه لأعرف ما في القرار من جديد، لكني بت في حيرة من أمري لتكاظم الطلاب حول هذه الورقة، هل يا ترى قد أدرك الطلاب أهمية المشاركة في المسابقات الثقافية لهذا الحد؟!

بعدما غشيت غمائم الضبط والسيطرة الطلاب، وعدنا المدير بتعميم القرار على جميع الصفوف والمراحل الدراسية. الصف عارم والأيادي تكاد تصل السقف من شدة القفز، كنت الوحيد من بينهم الذي لم يرفع يده لذا أحسست بشعور النقص وهو يهرول نحوي، فأوقفته حينما رفعت يدي كبقية الطلاب، صرخ بنا المعلم " هدوء، هدوء" وبعدما عشعش الهدوء في أحشائنا تريث المعلم قليلا وقال لنا بنبرة حادة:

" لا يعقل أن تصدر مثل هذه المشاركات الطفولية من قبل طلاب الثانوية، فجميعكم سيطلع على بنود القرار، ونحدد معا الطالب المخول للاشتراك بالمسابقات التي جاءت في هذا القرار.

هيمن الصمت على أفواه الطلبة، وبدأت عيونهم تتراسل بتقنيات التعجب، فهل أوقعوا أنفسهم في مسؤولية لامنهجية كانوا في غنى عنها. واستمر المعلم في شرح كيفية الاشتراك بالمسابقات الثقافية وكيف أنها ستنتقل بنا عبر عدة مراحل فالبداية ستكون من المدرسة ثم سيتنافس الفائز على مستوى مديرية التربية التي تتبع لها مدرستنا ثم سيكون التنافس الأخير على مستوى وزارة التربية والتعليم بشكل عام.

بالنسبة لي لم اسمع كلمة واحدة من المعلم، فقد كنت مشغولا بمراقبة الأيادي وهي تتناقص بشكل تدريجي واستشعر بلذة الهدوء الاختياري. سأل المعلم على حين غفلة

" والآن... من سيشارك منكم في إحدى هذه المسابقات"
وأردف حديثه بثقة عالية قبل أن ينتظر إجابة أحدنا
" أعتقد أن هناك عددا كبيرا منكم سيشارك بالمسابقات لذا سأفرز الطالب المناسب من خلال عقد مسابقة محلية تقتصر عليكم"
ولكن المفاجأة التي اكتسحت عيني المعلم، أنه لم يكن هناك أي يد مرفوعة سوى يدي، لا لأمر قد فرضته عليها إنما لأنها بقيت مرفوعة أصلا لا إراديا، فلبس المعلم نظارته ليتأكد من صحة ما رأى، فصرخ بنا بصوت صارم:
" ما هذه المهزلة، هل أحدثتم قبل قليل الفوضى لأرى يدا واحدة فقط! هيا أريد رؤية المزيد من المشاركات"
لم أعد اسمع سوى أصوات الطلبة وهي تتزاحم بين ثنايا صدى الغرفة الصفية، فقد أجمع أغلبهم على أن شروط المسابقة صعبة للغاية، فمن منهم يستطيع كتابة قصة أو حفظ أجزاء من القرآن أو أبيات من الشعر، وتعالى صوت الضحك في الصف حينما علق احد الطلاب ساخراً:
" نحن لا نستطيع كتابة أسمائنا بشكل صحيح حتى نكتب قصة أو مقالة"
طرق المعلم بعصاه المبغضة الطاولة وعم الصمت الصف، فقال بتعجب:
" ألا يوجد سوى معتصم يرغب بالمشاركة"
زاد قلبي نبضاته بسرعة، واحمر وجهي بشدة، لكني قد خضعت في نهاية المطاف للأمر الواقع وتوجب مني كتابة قصة قصيرة في غضون أيام، حينئذ تملكت الغيرة كل من الطالبين سعد وحسام فاعترضا على اختياري أنا الوحيد من الصف، مما دفعهما للمشاركة أيضا في مسابقة القصة القصيرة نكالا بي، فأنا لست مجتهدا وهما من الطلبة المجتهدين وعليهما أن يفرضا اجتهادهما في دروسهما على القصة القصيرة حتى لو لم يكونا موهوبين في كتابتها، فوجدت أن الفرصة قد سنحت لي بالانسحاب، لكن بقية أصدقائي

الطلبة قد منعوني من الانسحاب ووقفوا في صفي وقفة رجل واحد أمام كيد سعد وحسام، وتفاوتت طرق الإقناع.

" معتصم يمتلك القدرة على استحضار الكلمات الجميلة"

" لقد ولد معتصم أديبا"

" البلاغة وضعت من أجل معتصم"

وبالتالي اضطررت للخضوع عند رغبة أصدقائي وقررت الاشتراك في مسابقة القصة القصيرة، وقد تم تحديد يوم الأربعاء القادم لإجراء مسابقة محلية لاختيار الطالب الأفضل من ثلاثتنا للتنافس على مستوى مديرية التربية والتعليم. حينئذ فقط شعرت بنظرات التحدي وهي تتدفق من عيني زميلي كفيضانات مرعبة.

عدت لأبي وأنا متعطش لنصائحه وتعليماته فزودني بقصص قصيرة لأدباء مشهورين، فقرأتها بتمعن لدرجة أنني شعرت أنني بطل كل قصة من تلك القصص وشعرت بحاجة ماسة لتفريغ ما بداخلي على ورقة بيضاء حتى استنتجت أن القصة وعاء نفرغ به مشاعرنا وأحاسيسنا بصورة فنية جميلة.

وكتبت القصة وتأهبت للمسابقة بكل ثقة. جمعنا المعلم في مسرح المدرسة بحضور نخبة من معلمي المدرسة وطلبتها وبدأ زميلي سعد بقراءة قصته وتمكن من الإجابة على معظم الأسئلة التي طرحتها عليه اللجنة، وكذلك فعل صديقه حسام، حتى بدأ الخوف يتمالكني من براعتهما في الأداء، فلم أكن أتوقع أنني سأخوض في يوما ما مثل هذه التجربة، لكنني أقف اليوم أمام تحدي كبير يتوجب علي أن أخوضه بكل حزم، لذا تذكرت نصائح أبي في إحدى عيني ورأيت أصدقائي المشجعين لي في عيني الأخرى، فتسمرت بأرضي كالطود ونفخت صدري كمصارع قوي، وبدأت بقراءة نصي بصوت منغم. وقد نسيت كل من حولي وشعرت فقط أنني أديب مشهور أقف أمام جمهوري وأملي عليهم ما جادت به قريحتي لأمتعهم فحسب، وحينما فرغت من قراءة قصتي لم أسمع سوى التصفيق الحار من جميع الحضور.

بعد برهة من الزمن أعلنت النتيجة، فلم تسعني الدنيا لأسكب بها فرحتي عندما سمعت كلمة" مبارك" وهي تنطلق من فم معلمي مغردة بأجمل الترانيم، فعرفت أنني الفائز وسأتأهل للتنافس على مستوى مديرية التربية مع طلبة موهوبين بكتابة القصة القصيرة.

انطلقت بسرعة البرق للبيت، وناديت بأعلى صوتي أنني قد فزت، وأخبرتهم أنني سأذهب للمديرية لعرض قصتي هناك أمام عشرات الطلبة الموهوبين، فسألت أبي بلهفة:

" هل يعقل أن أفوز على مستوى مديرية التربية وبالتالي أتمكن من المشاركة بقصتي على مستوى الوزارة"

ضحك أبي وقال لي بهدوء:

" احلم يا بني كيفما شئت، فالأحلام هي مضجع العظماء، إن بقيت بهذه الدافعية لن تصل فقط إلى الوزارة، بل ستكون يوما من الأيام كاتبا مشهورا وستعقد لك الأمسيات الأدبية، وسيسطر اسمك صفحات المجلات والكتب، فالأحلام لا تنضب"

غصت بعد سماعي كلام أبي بنوم عميق حالما بالقلم الذي سيرسم لي طريق أحلامي.

النهاية